

وصف النار

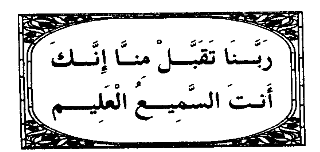
جمع وترتيب

محمود المصرى

(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة

ت : ٧٧٩٥٠٢٧



رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع	٢٠٠١/١٦٦١٣

مؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع
٦٤ شارع الخليفة مدينة الأندلس - الهرم
ت: ٧٧٩٥٠٢٧٠

التجهيز الفنى: إبراهيم حسن
ت: ٠١٠٧٥٨٣٠٤٩

الناشر مؤسسة قرطبة
٦٤ ش الخليفة - مدينة الأندلس - الهرم ت: ٧٧٩٥٠٢٧
٥ ش الباب الأخضر - ميدان الحسين ت: ٥٨٨٣١١٧

الشركة الفنية للطباعة ت: ٧٧٧١٠٣٩

بين يدى الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ. أما بعد:

فإن العبد المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء وقد امتلأ قلبه بحب رب الأرض والسماء... فهو يسعى بكل حبٍ ووفاء لتحقيق العبودية لرب الأرض والسماء ليفوز بالنعيمَ وينجو من العذاب والشقاء.

وما دام العبد حيًا تدبّ فيه الشهوات فلابد أن يُغلِّب جانب الخوف على الرجاء فإذا حلَّت به السكرات عند فراق الدنيا فعليه أن يغلِّب جانب الرجاء على الخوف ليلقى ربه (عز وجل) وهو حسن الظن به فقد قال ﷺ: «لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى» (اخرجه مسلم).

وما دامت أرواحنا فى أجسادنا فتعالوا بنا لنعرف شيئًا يسيرًا عن النار عسى أن تلين قلوبنا وتخشع وتذل للعزيز

الغـفار. قـال تعـالى: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤).

وقال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ (الفرقان: ٦٥: ٦٦)

وقال ﷺ: «اجعلوا بـينكم وبين النار حجـابًا ولو بشق تمرة» (صحيح الجامع: ١٥٣).

وقال ﷺ: «اتـقوا النـار ولو بشـق تمرة فإن لـم تجدوا فبكلمة طيبة» (متفق عليه).

وهذه الرسالة هي جزء مختصر من كتاب جديد سيصدر قريبًا - إن شاء الله - بعنوان: «رحلة إلى الدار الآخرة».

فأسأل الله (جل وعلا) أن يوقظ قلوبنا من الغفلة وأن يرزقنا حُسن الخاتمة... وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصرى

(أبو عمار)

•• التخويف من النار ••

* تالله لو عرف المؤمن ما فى النار من عذاب ونكال لم يهنأ بعيش ولم يغفل عن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

وقال يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيان يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته: عجبت من الجنة كيف نام طالبها، وعجبت من النار كيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (الأعراف: ٩٧).

وقال أبو الجوزاء: لو وليت من أمر الناس شيئًا اتخذت منارًا على الطريق وأقمت عليها رجالاً ينادون فى الناس: النار النار.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر: ٣١ ـ ٣٧).

قال الحسن فى قوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ قال: «والله ما أُنذر العباد بشىء قط أدهى منها» خرجه ابن أبى حاتم.

* وقال إبراهيم التيمى: ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار. لأن أهل الجنة قالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر: ٣٤) وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (الطور: ٢٦).

•• النبى ﷺ يستعيذ بالله من عذابها ••

وها هو الحبيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستعيذ بالله من عذاب جهنم... بل لقد كان يأمر أصحابه (رضى الله عنهم) أن يستعيذوا بالله من عذاب النار ـ بعد التشهد ـ.

فقد كان ﷺ يقول: «إذا فرغ أحدكم من التشهد [الآخر] فليستعذ بالله من أربع [يقول: اللهم إنى أعوذ بك] من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر [فتنة] المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له» (أخرجه مسلم).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبى ﷺ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١) (متفق عليه).

* وكيف لا يستعيذ النبى ﷺ بالله من عذابها وهو الذى رآها.

قل ﷺ: «أُتيتُ بالبراق، وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ، يضعُ حافرهُ عند منتهى طرْفه فلَمْ نُزايلْ ظهرَهُ أنا وجبريل حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ، ففتحتْ لى أبوابُ السماءِ، ورأيتُ الجنةَ والنارَ» (صحيح الجامع: ١٢٨).

•• وأنذر عشيرتك الأقربين ••

ولما نزلت تلك الآية الكريمة قام النبى ﷺ ينذر قومه وعشيرته وابنته فاطمة (رضى الله عنها) من نار جهنم.

* عن أبى هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من

النار، يا بــنى عبد مناف أنقــذوا أنفسكم من النــار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفــسكم من النار، يا بنى عبــد المطلب أنقذوا أنفسكم من الــنار، يا فاطمة بنت محمد أنــقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئًا (اخرجه مسلم).

•• أولوا الألباب يستعيذون بالله من النار ••

إننا نؤمــن جميعًا باليوم الآخــر وبكل ما فيه من الــنعيم والعــذاب لأننا نؤمــن بالغيــب الذى أخبــر عنه ربنــا (جل وعلا) وأخبر عنه نبينا ﷺ.

قال ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمــن بالجنة والــنار والميزان وتــؤمن بالــبعث بعــد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره» (صحيح الجامع: ٢٧٩٨).

* ولذلك قال تعالى عن المؤمنين أصحاب القلوب النقية والعقول السوية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ

مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران: ١٩٠ : ١٩٢).

•• خوف السلف من عذاب النار ••

وها هى باقة عـطرة من أحوال سلفنا الصـالح وخوفهم من عذاب النار.

* عن وهب بن منبه، قال: ما عُبد الله بمثل الخوف.

وقال أبو سـليمان الـدارانى: أصل كل خـير فى الدنـيا والآخرة الخـوف من الله عز وجـل، وكل قلـب ليس فـيه خوف الله فهو قلب خرب.

وقال الفضـيل بن عياض: الخوف أفضل مـن الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

وسُئل ابـن المبارك عن رجلـين أحدهما خـائف والآخر قتيل فى سبيل الله عز وجل، قال: أحبهما إلىَّ أخوفهما.

وكان من الـسلف من إذا رأى الـنار اضطرب وتـغيرت حالـه. وقد قال تعـالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة: ٧٣). قال مجاهد وغيره: يعنى أن نار

الدنيا تذكّر بنار الآخرة.

وقال الحسن: كان عمر رضى الله عـنه ربما توقد له النار ثم يدنى يديه منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر.

* ورُوى من غـير وجه أن عـلى بن فـضيل مـات من سماع قراءة هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: ٢٧).

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عـنه رجلاً يتهجد فى الليل ويقرأ سورة الطور فلـما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ (الطور: ٧، ٨).... قال عمر: قسمٌ حـق ورب الكعبة، ثم رجع إلى مـنزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

وفى هـذا المعنى يـقول عبـد الله بن المبارك رحـمه الله تعالى:

إذا مـا الليـل أظلـم كابـدوه فيسـفر عنـهم وهـم ركـوع

أطار الخـوف نومهم فقامـوا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وقــال الحــسن: إن لله عــبــادًا كــمــن رأى أهل الجـنــة مخلدين، وكمن رأى أهل النار معذبين. وقال أيضًا: والله ما صدّق عبدٌ بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كـانت النار خلف ظهره لم يصــدق بها حتى يهجم عليها.

* وبالجملة فالخوف من عذاب جـهنم لا ينجو منه أحد من الخـلق، وقد تـوعد الله سبـحانـه خاصة خـلقه عـلى المعصية، قـال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الإسراء: ٣٩).

وقال في حق الملائكة المكرمين: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٢٩).

وكان بعض الـسلف يقول: من عبد الله بــالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبـد الله بالحب وحـده فهو زنـديق، ومــن عبده بــالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن.

•• تحاجَّت النار والجنة ••

قال ﷺ : «احتجَّت الجنَّةُ والنارُ، فقالت الجنَّةُ: يدخلنى الضعفاءُ والمساكينُ، وقالت النَّارُ: يدخلنى الجبارونَ والمتكبرونَ، فقالَ اللهُ للنارِ: أنتِ عذابى، أنتقمُ بكِ ممنْ شئتُ، وقالَ للجنة: أنتِ رحمتى، أرحمُ بكِ منْ شئتُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤُها» (اخرجه مسلم).

•• إنما الأعمال بخواتيمها ••

قال ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهل الجنَّة، ثم يختمُ له عملهُ بعملِ أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعملِ أهلِ النَّارِ ثمَّ يختمُ [له] عملهُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ» (اخرجه مسلم).

وفى رواية قال ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليعملُ عملَ الجنَّة فيما يبدُو للناس، وهوَ منْ أهلِ النارِ، وإن الرجلَ ليعملُ عملَ النارِ فيما يبدوُ للناس، وهوَ منْ أهلِ الجنة» (متفق عليه).

زاد البخارى: «وإنما الأعمال بخواتيمها».

* * *

•• أهل النار مُيسَّرون لعمل أهل النار ••

قال ﷺ : «إن الله قبض قبضة فقال: هذه إلى الجنة برحمتي وقبض قبضة فقال: هذه إلى النار ولا أبالي» (صحيح الجامع: ١٧٨٤).

وقال ﷺ : «إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً» (اخرجه مسلم).

وقال ﷺ : «إنَّ الله أخذ ذُرِّيةَ آدمَ من ظهره ثمَّ ﴿أشهدهمْ على أنفُسهم ألستُ بربِّكم قالوا بَلى﴾ ثم أفاضَ بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنةِ، وهؤلاء في النار، فأهلُ الجنةِ ميسرون لعملِ أهلِ الجنةِ، وأهلُ النارِ ميسرونَ لعمل أهل النارِ» (صحيح الجامع: ١٧٠٢).

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (الليل: ٥: ١٢).

عن علي رضي الله عنه قال: [كنَّا مع رسول الله ﷺ

فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقـعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتـكل؟ فقال اعمـلوا فكل مُيـسر لما خُلق لـه» ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ إلى قوله ـ للعسرى﴾ (أخرجه البخارى).

•• أنا عند ظن عبدى بى ••

وقال تعالى فـى الحديث القدسى: «أنا عنـد ظن عبدى بى إن ظـنَّ خيـرًا فله وإن ظـن شرًا فـله» (صحيح الجامع: ٤٣١٥).

فإذا حقـق العبد الـتوحيد لله (جـل وعلا) ولكنـه كان مُقصرًا فى طاعة الله أو كان طائعًا لله ولكنه كان مصرًا على بعض الـذنوب والآثام فإن رجـاءه فى الله وحُسن ظـنه به ينفعه حتى وإن دخل النار.

قال ﷺ: «يخرج مـن النار أربعة، فيُعـرضون على الله عز وجل، فيلـتفت أحدهم، فيقول: أى رب إذ أخـرجتنى منها فلا تُعدنى فيها، قال: فينجيه منها» (أخرجه مسلم).

وخرجـه ابن حبـان فى «صحـيحـه» وعنده «فـيلتـفت

فيقول: يا رب مــا كان هذا رجائى فيك، فيـقول: ما كان رجاؤك؟! قال: كان رجائى إذ أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها، فيرحمه الله فيُدخله الجنة».

•• لا تأمن على نفسك من النار ••

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خـلقَ الرحمة يومَ خلقَـها مائة رحمة، فأمـسكَ عندهُ تسعًـا وتسعينَ رحمـةً، وأرسل فى خلقهِ كلهمْ رحمة واحدةً، فلوْ يـعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذى عندَ الله مَن الرحمة لم ييأَسْ منَ الجنَّـة، ولوْ يَعلمُ المؤمنُ بالذى عند الله منَ العَذابِ لم يأمنْ منَ النارِ» (متفق عليه).

* فلا تأمن على نفسك من الـنار أيها الأخ الحبيب فقد يدخل الإنسان تلك النار بكلمة يسيرة لا يُلقى لها بالاً.

قال ﷺ: «إن الرجل ليـتكلم بالكلمة لا يـرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفًا فى النار» (صحيح الجامع: ١٦١٨).

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكـلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (متفق عليه).

•• حُفت النــار بالشهوات ••

قال ﷺ: «حُـجبت الـنار بالـشهوات وحُـجبت الجـنة

بالمكاره» (أخرجه البخارى).

وقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «لما خـلق الله النار أرسل إلـيها جبـريل قال له: إذهب فانظر إليها وإلى مـا أعددت لأهلها، قال: فنظر إليه، فإذا هى يركب بعضهـا بعضًا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها. فأمـر بها فحُفت بالشهوات، ثم قال له: اذهب فانـظر إلى ما أعددت لأهلها فـيها، فذهب فنظر إليها ورجع، فقال: وعـزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» (صحيح الجامع: ٥٢١٠).

•• لها سبعة أبواب ••

قال تعـالى عن أبواب جـهنم: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ (الحجر: ٤٣: ٤٤).

وقال ﷺ: «الجنـة لها ثمـانية أبواب والـنار لها سـبعة أبواب» (صحيح الجامع: ٣١١٩).

•• الجنة درجات والنار دركات ••

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: ١٤٥).... وقال بعضهم: الجنة درجات والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات أيضًا كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (الأنعام: ١٣٢).

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. درجات الجنة تذهب علوًا ودرجات النار تذهب سفولا.

وعن ابن جريج فى قوله: (لها سبعة أبواب) قال: جهنم ثم لظى ثم الحُطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل.

•• إنها عليهم مؤصدة ••

وأهل النار يعانون من الشدائد بعد الشدائد.... فأبواب جهنم تُغلق على أهلها.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ (البلد: ٢٠). وقال

تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة: ٨: ٩).

بل إن سرادق جهنم يحيط بـأهل النار... قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩).

•• عمق جهنم ••

لقد ذكرنا قول النبى ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بهـا بأسًا يهوى بـها فى النـار سبعين خـريفًا» (صحيح الجامع: ١٦١٨).

وعن أبى هريرة قـال: كنا عند النبى ﷺ يومًا فـسمعنا وجبة، (أى: سقـطة) فقال النبـى ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها» (اخرجه مسلم).

•• النار سوداء مظلمة ••

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٩: ٥٠).

وعن أبي بن كعب قال: ضرب الله مثلاً للكافرين قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ (النور: ٤٠)، فهو يتقلب في خمس من الظُلــم: كلامه ظُلمة، وعمله ظلــمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار.

* وعن أبي هريرة قال: «أُوقد على النار ألفَ سنة حتى احمرتْ، ثم أوقدَ عليها ألفَ ســنة حتى ابيضتْ، ثمّ أوقدَ عليها ألفَ سنة حتى اسودَّتْ، فــهِيَ سوداءُ مُظلمَةٌ، كالليَل المُظلمِ» (حسن بشواهده لكنه موقوف على أبي هريرة).

•• شدة حرها ••

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١).

وفي الصحــيحين عن أبي هريرة عن الــنبي ﷺ، قال: «ناركم هذه التي يوقد بنــو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جــهنم» قالــوا: والله إن كانت لكــافية قال: «إنــها فُضلت عليــها بتسعة وستين جزءًا كلــهن مثل حرها» [رواه مالك بإسناد صحيح]، وخرجه الإمام أحمــد وزاد فيه «ضُربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد».

* وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النار جزء من مئة جزءٍ من جهنم» (رواه أحمد بإسنادٍ حسن].

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضى بعضًا فنفّسنى، فأذن لها فى نفسين، نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر سمومها وأشد ما تجدون من البرد زمهريرها» (متفق عليه).

•• أودية جهنم ••

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (مريم: ٥٩).

قال ابن مسعود (رضى الله عنه) فى قوله تعالى: «فسوف يلقون غيًا»: وادٍ فى جهنم بعيدٌ قعره خبيثٌ طعمه.

•• سجن للمتكبرين فى نار جهنم ••

قال تعالى ـ فى الحديث القدسى ـ: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار» (صحيح الجامع: ٤٣١١).

فلا ينبغى لـعبدٍ أن يتكبر أبدًا فمن فـعل ذلك فقد حقّ عليه عذاب الله (عز وجل).

* قال ﷺ مصورًا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة.

«يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الناس يعلوهم كل شىء من الصَغار حتى يدخلوا سجنًا فى جهنم يقال له: بولس تـعلوهم نار الأنيار يُسقون مـن طين الخبال عصارة أهل النار» (صحيح الجامع: ٨٠٤٠).

•• سلاسل وأغلال جهنم ••

قال تعـالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان: ٤).

وقال تعـالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: ٣٢).

قال ابن عباس: السلسلة تدخل فى إسته، ثم تخرج من فيه، (أى: من فمه) ثـم يُنظمون فيها كما يـنظم الجراد فى العود حتى يُشوى.

* * *

•• طعام أهل النار ••

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ (الدخان: ٤٣: ٤٦).

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟» (صحيح الجامع: ٥٢٥٠).

* وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ (الغاشية: ٦).

قال ابن عباس عن الضريع: إنه شجر فى جهنم.

* وقال تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ (الحاقة: ٣٥: ٣٦).

قال ابن عباس عن الغسلين: إنه صديد أهل النار

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزمل: ١٢: ١٣).

روى الإمام أحمد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾. قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

•• شراب أهل النار ••

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم: ١٦: ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص: ٥٧: ٥٨).

فهذه أربعــة أنواع ذكرناها من شرابهــم، وقد ذكرها الله فى كتابه:

النوع الأول ـ الحميم:

قال شبيب بن عكرمة عــن ابن عباس: حميم آن: الذى قد انتهى غليه.

النوع الثانى ـ الغساق:

قال ابن عباس: الغساق: ما يســيل من بين جلد الكافر ولحمه، وعنه قــال: الغساق: الزمهرير الــبارد الذى يحرق من برده.

النوع الثالث ـ الصديد:

قال مجاهد فى قــوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٦)، قال: يعنى القيح والدم.

وعن جابر عــن النبى ﷺ قال: «إن علــى الله عهدًا لمن شرب المسكرات لــيسقيه من طينة الخبــال، قالوا: يا رسول الله؛ وما طيــنة الخبال؟ قــال: عرق أهل النــار، أو عصارة أهل النار» (اخرجه مسلم).

أى ومن فوقهم أغطية من النار.

•• صفات أهل النار ••

لقد ذكر الله (جل وعلا) بعـض صفات أهل النار. . . . وكذلك ذكر النـبى ﷺ بعض صفاتهم فإليـكم بعض هذه الصفات التى نسأل الله (عز وجل) ألا يـجعل لنا فيها حظًا ولا نصيبًا.

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴾ (المدثر: ٣٨: ٤٧).

وفى «الصـحيحيـن» عن حارثة بـن وهب، عن النـبى ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة: كـل ضعيف متضعف لو أقسم علـى الله لأبرّه، ألا أخبركم بأهل النـار كل عُتُلٍ جواظ مستكبر» (متفق عليه).

•• أهل النار خمسة ••

قال ﷺ: «. . . وأهل النار خمسـة: الضعيف الذى لا

النوع الرابع ـ الماء الذى كالمهل:

قال مجاهد: بماء كالمهل: مثـل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

•• ملابس أهل النار ••

قال الله تعـالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٩: ٥٠).

وقال ﷺ: «النـائحة إذا لم تـتب قبل مـوتها تقـام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (أخرجه مسلم)

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ (الحج: ١٩)....، وكان إبـراهيم التـيمى إذا تلا هـذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثيابًا.

•• أسرة أهل النار ••

قال تعالـى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤١).

أى: لهم فراش من النار من تحتهم «ومن فوقهم غواش»

زَبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش (اخرجه مسلم).

ويعنى بالزَبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه فى الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

•• أكثر أهل النار ••

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها، ولهم أعدت، كما قال تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤).

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج بعث النار من ذريتك، قال: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. . .» (متفق عليه).

فهذه الأحاديث وما فى معناها تدل على أن أكثر بنى آدم من أهل النار، وتدل أيضًا على أن أتباع الرسل قليل

بالنسبة إلى غيرهم.

* وقد وردت الأحاديث على أن هذه الأمة ستفترق على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار إلا فرقة واحدة، وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقتض ذلك الخلود فيها - فلم ينج من الوعيد بالنار.

فأما عصاة الموحدين فأكثر من يدخل النار منهم النساء.

ففى «صحيح مسلم» عن ابن عباس، عن النبى ﷺ، قال: «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

•• الحمى.. حظ المؤمن من نار جهنم ••

إن العبد إذا كان يعيش على طاعة الله (عز وجل) وأصيب بالحُمى فإن الله يجعلها - برحمته - نصيبه من نار الآخرة.

قال ﷺ: «أبشر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أُسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٣٢).

•• هذا نزلهم يوم الدين ••

قال أبو عمران الجونى: بلغنا أن أهل النار يُبعثون عطاشًا ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشًا، ثم قرأ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٧)..... قال مجاهد فى تفسير هذه الآية. متقطعة أعناقهم عطشًا.

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة: ٥١ ـ ٥٦)، والنُّزل هو ما يُعد للضيف عند قدومه.

وقال أيوب عن الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا، ثم انصرف بهم إلى النار فيُسقون من عين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

•• مجىء جهنم ••

تأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما

قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا، ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوه دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا

الحديد، يامـالك قد نضجت مـنا الجلود، يامالـك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول لهـم الزبانية : هيهات هيهات لا خروج لكم من دار الهوان. فلا ينجـيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف فهم غرقى فى النار، طـعامهم نار، وشرابهم نار، ولباســهم نار، ومهادهـم نار فهم بـين مقطعات الـنيران، وسرابيـل القطران، وضرب المقـامع وثقل السلاسـل، فهم يتـجلجـلون فى مـضائقـها، ويتـحطمـون في دركاتـها، ويضطربون بين غـواشيها، تغلى بهم النـار كغلى القدور، ويهتفـون بالويل والعويل، ومـهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحمـيم، يُصهر به ما فى بطـونهم والجلود، ولهـم مقامع مـن حديد، تهـشم بهـا جباههـم، فيتفـجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها. . . . وكسـرت عظامهم، وجُدعت آذانهـم وأُعميت أبصارهـم وأُبكمت ألسـنتهم وغُلت أيـديهم إلى أعنـاقهم وجمع بـين نواصيهـم وأقدامهم، وهـم يمشون علـى النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد بـأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم، وحيات الهـاوية وعقاربها متشبثةً

بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

تذكَّر وقوفك يوم العرض عُريانا
مستوحشاً قَلِقَ الأحشاء حيرانا
والنار تَلهب من غيظ ومن حَنَقٍ
على العُصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدُ على مَهَلٍ
فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
فلما قرأت ولم تُنكر قراءته
وأقررت إقرار مَنْ عرف الأشياء عِرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي
وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المشركون غداً في النار يلتهبوا
والموحدون بدار الخُلد سكّانا

•• النار يوم القيامة تسمع وتبصر وتتكلم!!! ••

* عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من

النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إنى وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين» (صحيح الجامع: ٨٠٥١).

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ⑪ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١١: ١٢).

•• عينان لا تمسهما النار ••

روى أبو هريرة عن النبى ﷺ قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع» (صحيح الجامع: ٧٧٧٨).

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار أبدًا.... عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله» (صحيح الجامع: ٤١١٣).

* بل إنه من السبعة الذين يُظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (متفق عليه).

* * *

•• بكاء أهل النار ••

قال ﷺ: «يُرسَل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يصير فى وجوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيها السفن لجرت» (صحيح الجامع: ٨٠٨٣).

•• فداؤك من النار ••

قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكفار فيقال له: هذا فداؤك من النار» (أخرجه مسلم).

* وقال ﷺ فى قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠: ١١).

«ما منكم من أحدٍ إلا له منزلان: منزلٌ فى الجنَّة، ومنزلٌ فى النَّار، فإذا مات فدخل النَّار، ورث أهلُ الجنَّة منزلَه، فذلك قول: ﴿هُم الوارثُونَ﴾ (صحيح الجامع: ٥٧٩٩).

•• أهون أهل النار عذابًا ••

* وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابًا من له نعلان

وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد منه عذابًا، وإنه لأهونهم عذابًا» (أخرجه مسلم).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه» (أخرجه مسلم).

•• يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعًا ••

يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كافر يأتى يوم القيامة فيتمنى أن يفدى نفسه من عذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعشيرته بل بأهل الأرض جميعًا.

قال تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ (المعارج: ١١ :١٨).

* بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٦).

•• الله يكلم أهون أهل النار عذابًا ••

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ لأهونِ أهلِ النارِ عذابًا: لوْ أنَّ لكَ ما فِي الأرض منْ شيءٍ كنتَ تفتدى بهِ؟ قالَ: نعم، قال: فقدْ سألتُك ما هو أهونُ منْ هذا وأنتَ فى صُلبِ آدم أنْ لا تشركَ بِى شيئًا فأبيتَ إلاَّ الشِّركَ!» (متفق عليه).

•• أول من تسعر بهم النار ••

قال ﷺ: «إنَّ أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامة عليهِ رجلٌ استشهد، فأُتِىَ بهِ، فعرَّفهُ نعمَهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتّى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتلتَ ليقالَ جرىءٌ، فقد قيلَ، ثمَّ أمرَ به فسحب

على وجهه حتى أُلقى فى النارِ، ورجلٌ تعلمَ العلمِ وعلمَهُ، وقرأ القرآنَ، فأتى بـه فعرفه نـعمهُ، فعـرفها، قال: فـما عملـتَ فيها؟ قال: تـعلمتُ العلـمَ وعلمتهُ، وقـرأت فيكَ القرآنَ، قالَ: كذبتَ، ولـكنكَ تعلمتَ العلم لـيقالَ عالمٌ، وقرأت الـقرآن لـيقالَ: هـو قارىءٌ فـقد قيـلَ، ثمَّ أمـرَ به فسُحبَ علـى وجهه حتى ألقى فى الـنار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه، وأعطاهُ مـن أصناف المال كُله، فأتى به فعـرَّفهُ نعمَهُ فعرفها، قالَ: فـما عملتَ فيها؟ قالَ: ما تـركتُ منْ سبيلٍ يُحبُّ أنْ ينفقَ فيها إلا أنفتُ فيها لكَ، قالَ: كذبتَ ولكنكَ فعلت ليقالَ: هوَ جوادٌ، فقد قيلَ: ثمَّ أمرَ بهِ فسحبَ على وجههِ، ثمَّ ألقى فى النارِ» (أخرجه مسلم).

•• تفاوت درجات العذاب على أهل النار ••

قال تعالى عن أهل النار: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا

في النَّارِ﴾ (ص: ٦١)

* عن سمرة بن جندب رضى الله عنه عن النبى ﷺ؛ قال: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته» (أخرجه مسلم).

•• زيادة أهل النار من العذاب ••

وعن عبد الله بن مسعود فى قول الله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ﴾ قال: زِيدُوا عَقَارِبَ أنيَابُهَا كالنَّخْلِ الطِّوَالِ.

* وعن ابن عباس أنه قالَ فى قوْل الله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَذَابِ﴾ قالَ: هِيَ خَمْسَة أنهارٍ تَحْتَ العَرْشِ يُعَذَّبونَ ببِعْضِهَا باللَّيْل وببعْضهَا بالنَّهار.

•• جملة من عذاب أهل النار ••

وها هى جملة من أنواع وألوان العذاب الذى يُسلَّط على أهل النار فى نار جهنم - أعاذنا الله وإياكم منها - فمن بين أنواع العذاب الذى يتعرضون له:

* تسويد وجوههم

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٠).

* عذاب الصَهر

قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (الحج: ١٩: ٢١).

* يُسحبون على وجوههم فى النار

ومن أنواع العذاب الذى يُصب على أهل النار أنهم يُسحبون على وجوههم فى النار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (القمر: ٤٧، ٤٨).

* تلفح وجوههم النار

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾

(المؤمنون: ١٠٤).

*** ينسى كل نعيم مع أول غمسة فى النار**

قال ﷺ: «يُؤتى بأنعمَ أهل الدُّنيا من أهل النار يومَ القيامة، فيُصبَغُ فى جهنم صبغَةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدَّةً قط».

*** يتمنى الموت ولا يجده**

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر: ٣٦).

*** منهم من يدور فى النار ويجر أمعاءه**

وهذا مثلٌ لعالم من علماء السوء الذين كانوا يأمرون الناس بالمعروف ولا يفعلونه وينهون الناس عن المنكر

ويفعلونه.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤).

وعن أسامة بن زيد عن النبى ﷺ قال: «يؤتى بالرجل فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (متفق عليه).

* ومنهم من يقتل نفسه فى النار كما فعل بنفسه فى الدنيا

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» (متفق عليه).

* ومنهم من تأكله النار إلى فؤاد

قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ (الهمزة: ٤ ـ ٧).

*** ومنهم من له لسانان من النار**

وقد ورد أن بعـضهم له لسـانان من نار، ووجـهان من نار، ففى «سـنن أبى داود» عن عمار عن الـنبى ﷺ قال: «من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» (السلسلة الصحيحة: ٨٩٢).

*** ومنهم من تُمسخ صورهم**

ومنهـم من تمسخ صورته عـلى صورة قبيـحة... وفى «الصحيح» أن إبـراهيم ـ عليه السلام ـ إذا شـفع فى أبيه، قيل له: يا إبـراهيم انظر ما وراءك، فإذا هو بـذيخ ملطخ، فيؤخذ بقوائمه، ويُلقى فى النار» (اخرجه البخارى).

والذيخ: الضبع الذكر.

*** ومنهم من يُلقى فى مكان ضيق**

ومنهم من يلقى فى مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه،.. قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان: ١٣)..... قال كعب:

إن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم ثم يطبق على أناس بأعمالهم.

* وعذابهم لا ينتهى أبدًا

فعذاب أهل النار ـ الذين كتب الله عـليهم الخلود فيها ـ لا ينتهى أبدًا.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ (الزخرف: ٧٤: ٧٥).

•• عظم خلق أهل النار وبشاعة منظرهم ••

قال ﷺ: «إن غلـظ جلد الكـافر اثنان وأربـعون ذراعًا بذراع الجبار[1].

وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» (صحيح الجامع: ٢١١٤).

* عن أبى هريرة عـن النبى ﷺ قال: «ما بين مـنكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع» (متفق عليه).

(١) أي جبار من جبـابرة الآدميين ممن كان فى القرون الأولـى ممن كان أعظم خلقًا وأطول ذراعًا مـن الناس ـ كذا فى المستدرك عن شيـخه أبى بكر ابن إسحاق

وخرّج مسلـم أيضًا عن أبى هريرة عن الـنبى ﷺ قال: «ضرس الكافـر ـ أو ناب الكافر ـ مثل أحد، وغـلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام» (اخرجه مسلم).

•• كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ••

وقد يسأل سائل ويقول: وما الـسبب فى ضخامة جسد الكافر إلى هـذا الحد؟ بل وما السبب فى كثافـة جلده على وجه الخصوص؟.

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة ولا يتحـملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقة الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد ـ على وجه الخصوص ـ لأن مراكز الإحساس كـلها لا تكون إلا فـى الجلد فيكـون الإحساس بلهيب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦).

•• عذاب أهل النار المعنوى ••

فهناك عذاب معنوى لأهل النار - فوق العذاب الحسى -.

* فمن عذابهم المعنوى أنهم إذا دخلوا النار يلعن بعضهم بعضًا.. قال تعالى: ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾ (الأعراف: ٣٨).

* ومن عذابهم المعنوى أنهم يسمعون خطبة إبليس فى النار وهو يعلن أنه خدعهم وزيَّن لهم المعصية حتى وقعوا فى نار جهنم.... قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

* ومن عذابهم المعنوى أن الملائكة تُبكتهم قبل أن يدخلوا إلى منازلهم فى نار جهنم... قال تعالى: ﴿ **تَكَادُ**

تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٨: ٩).

* ومن عذابهم المعنوى أن المؤمنين يسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩: ٣٦)

* قال القرطبى: يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا، فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون ﴿هل ثُوِّب الكفَّار ما كانوا يفعلون﴾ أى هل

جوزى الكـفار فى الآخرة بما كـانوا يفعلـونه بالمؤمنـين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

* وأعظم عذاب أهـل النار حجابهـم عن الله عز وجل وإبعادهـم عنه وإعراضه عـنهم وسخـطه عليهـم، كما أن رضوان الله عـلى أهل الجنـة أفضل من كـل نعيم الجـنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظـم من جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ (المطففين: ١٤، ١٥).

•• النار لا تأكل أثر السجود ••

قال ﷺ: «تأكل النار ابـن آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل عـلى النار أن تـأكل أثر الســجود» (صحيـح الجامع: ٢٩٠٥).

ويا لـها ـ والله ـ من كرامـة فالنـار تأكل كل جـزء من جسد العبد ـ إن كان من عصـاه الموحدين ـ إلا أثر السجود فى وجهه لأنه أكرم موضع فى جسده فهو موضع السجود والذل لخالق السماوات والأرض (جل وعلا).

•• تلاعن أهل النار ••

إن أهل النار إذا دخلوا النار يظن كل واحد منهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عذابهم الذى لا يُخفف عنهم ولا ينتهى أبدًا فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨ : ٣٩].

ثم يذهب بنا القرآن إلى مشهد آخر فيقول الله جل وعلا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾

[الأحزاب: ٦٤ : ٦٦]

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ.

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله؟! ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ : ٦٨].

وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾

[ص: ٥٥ : ٦١].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا

﴿مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص : ٦٢:٦٤].

•• خمس دعوات لأهل النار ••

قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم اللّه عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا. . . . يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فيقول اللّه تعالى مجيبا لهم : ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿ربنا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم اللّه تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم اللّه تعالى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦: ١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رضى الله عنه: قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مالنا من محيص﴾.

•• اخسئوا فيها ولا تكلمون ••

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

(فاطر: ٣٧)

* ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من العذاب.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر: ٤٩: ٥٠).

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لمالك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ (الزخرف: ٧٧).

قال الأعمش: نُبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

* وعن عبد الله بن عَمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمونَ﴾ فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَؤُوا فِيها ولا تُكلمون﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا

الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولّها شهيق وآخرها زفير.

•• آخر أهل النار خروجًا منها ••

قال ﷺ: «إنى لأعرفُ، آخر أهلِ النارِ خُروجًا منَ النارِ، وآخرَ أهلِ الجنة دُخولاً الجنَّة؛ رجُلٌ يُؤتى به يومَ القيامة، فيُقالُ: اعْرضوا عليه صغارَ ذُنوبه، وارفعُوا عنهُ كِبارهَا، فيُقال لهُ: عمِلْتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا وعملتَ يومَ كذا وكذا، كذا وكذا، فيقولُ: نعم، لا يستطيعُ أن يُنكرَ، وهو مُشفقٌ من كبار ذُنُوبه أن تُعرضَ عليه فيُقال لهُ: فإنَّ لكَ مكان كلِّ سيئةٍ حسَنةً، فيقولُ: يا ربِّ عملتُ أشياء لا أراها ههُنا» (أخرجه مسلم).

•• ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار ••

قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادى مناد: يا أهل الجنة! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينادى: يا أهل النار! فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت. وكلهم قد رآه

فيُذبح. ثم يقول. يا أهل الجـنة ! خلودٌ فلا موت ويا أهل النـار! خلود فـلا موت ثم قرأ: وأنـذرهم يوم الحـسرة إذ قُضى الأمر وهم فـى غفلة (وهؤلاء فى غفلـة أهل الدنيا) وهم لا يؤمنون» (متفق عليه).

•• إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ••

فيا أيها الغافل عن نفســه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضــاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنـه واصرف الفكر إلى موردك فإنـك أُخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم ٧١: ٧٢).

فأنـت من الورود عـلى يقـين ومن الـنجاة فـى شك. فاستشعر فـى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستـعد للنجاة منه، وتأمل فى حال الخلائق وقـد قاسوا من دواهى القيامة ما قاســوا، فبينما هــم فى كربها وأهــوالها وقوفًا ينـتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظـلت عليهم نـار ذات لهب، سمعـوا لها

زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أين فلان بن فلان المسوّف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ** ﴾ [الدخان: ٤٩].

فأُسكنوا دارًا ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت منا الجلود. يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان!

ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتم منها لكنتم إلى ما نُهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب اللّه يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغلولين. . . طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار، فهم بين مقطعات النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل، فهم يتجلجلون فى مضايقها ويتحطمون فى دركاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلى بهم النار كغلى القدور ويهتفون بالويل والعويل. ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما فى بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فيتفجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الأطراف شعورها بل جلودها. كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم، وقُصمت ظهورهم، وكُسرت عظامهم،

وُجدعت آذانــهم، ومُزقت جلــودهم، وغُلت أيديــهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههــم ويطأون حسك الحديد بأحداقهــم، فلهيب النــار سار فى بواطــن أجزائها وحــيات الهــاوية وعقاربــها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الـدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفـضيلاً فكما أن إكبـاب الناس على الدنيـا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالـغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حد محدود، فكـذلك تناول النار لهم متـفاوت فإن الله لا يظلّم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النــار كيفمـا كان، بل لكـل واحد حدّ مـعلوم علـى قدر عصـيانـه وذنبه، إلا أن أقـلهم لـو عرضـت عليـه الدنـيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول الله ﷺ : «أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه» (اخرجه مسلم) فانظر الآن إلى من خُفف عليه واعتبر بمن شُدد عليه. ومهما تشككت فـى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلـم أنك أخطأت فى القياس

فإن نار الـدنيا لا تنـاسب نار جهـنم، ولكن لمـا كان أشد عذاب فى الـدنيا هو عـذاب النار عُرف عـذاب جهنم بـها وهيهـات! لو وجد أهل الجحيـم مثل هذه النار لخـاضوها طائعين هربًا مما هم فيه.

فهـذه أصناف عـذاب جهنـم علـى الجملـة، وتفصـيل عمومهـا وأجزائها ومحنها وحـسرتها لا نهاية لـه، فأعظم الأمور عليهـم مع ما يلاقونه من شدة الـعذاب حسرة فَوت نعيم الجنة وفَوت لقاء الله تـعالى وفَوت رضاه، مع علمهم بأنهـم باعوا كل ذلك بثـمن بخس دراهم مـعدودة، إذ لم يبيـعوا ذلك إلا بشـهوات حقيـرة فى الدنيـا أيامًا قصـيرة وكانت غير صافـية، بل كانت مكدرة منغصـة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنـا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفـسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبـرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُلوا بمـا بُلوا به ولم يبق معهم شئ من نـعيم الدنيا ولذاتهـا، ثم إنهم لـو لم يشاهـدوا نعيم الجـنة لم تعـظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

وقال أحـمد بـن حرب: إن أحـدنا يـؤثر الـظل عـلى الشمس ثم لا يـؤثر الجنة على النار . . . وقال عيـسى عليه السلام: كم من جـسد صحيح ووجه صبيح ولـسان فصيح غدا بين أطباق النار يصـيح . . . . وقال داود: إلهى لا صبر لى علـى حر شمسك فكـيف صبرى علـى حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مـسكين فى هذه الأهوال واعلم أن الـلّه تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قـد قُضى وفَرغ مـنه اللّه تـعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾

(مريم :٣٩).

فإن قلـت: فليت شعـرى ماذا موردى وإلى مـاذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القـضاء فى حقى؟ فلك علامة تسـتأنس بهـا وتصدق رجاءك بـسببهـا وهى أن تنظـر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كلاً ميسر لما خُلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرًا

إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ودلالة الدخان على النار. فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣ : ١٤).

فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقرك من الدارين.

أسأل الله (جل وعلا) أن يُجيرني وإياكم من عذاب النار ومن خزي النار.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصري

(أبو عمار)

محتويات الكتاب

* * *